لغز قبيلة الدوغون

الدوغون ، قبيلة أفريقية كبيرة في مالي ، يتجاوز تعداد أفرادها الثلاثمائة ألف شخص ، يستقرون على إحدى الهضبات الصخرية ، يحيون حياة عاديةومسالمة ، ولديهم احتفالات موسمية تتميز بتنوع رائع من الألوان والرقصات والطقوس .

أسرار الدوغون

يمكننا اعتبار سكان هذه القبيلة أناسا عاديين جدا قبل أن نسمع عن معرفتهم الكونية المدهشة ، حيث يمتلك رؤساء الكهنة هناك علما ومعرفة فلكية تثير التساؤلات والحيرة ، رغم حياتهم البدائية إلا أن ثقافتهم الدينية معتمدة بالكامل على علوم الفضاءوبالتحديد النظام النجمي (سيريوس) الذي لا يمكن أبدا رصده بالعين المجردة ، حيث يمتلكون معلومات عن مكانهوبعض أسراره ويعتبرونه مفتاح علومهم السماوية منذ قرون طويلة حتى قبل أن تكتشفه التلسكوبات الحديثة ،والأكثر عجبا هو أنهم ينسبون تلك المعرفة إلى تواصلهم قديما مع قوم من الكائنات الفضائية .

أساطير الدوغون

حياة سكان الدوغون متشبعة بالأساطير القادمة من غابر الأزمان ، حيث تتكلم تلك الأساطير عن نشأة هذا الكون من طرف الإله (أمّا) الذي خلق الكريات الأرضية وأطلقها في الفضاء ثم تحولت إلى نجوم ،وبعد ذلك

أتبعها باثنين من الكريات الفخارية البيضاءوالمقصود هنا (الشمسوالقمر) ،وانتهى بكرية مصنوعة من عمود من الطين أي (الأرض) ،ومن نفس ذلك العمود الطيني خلق ثمانية كائنات صغيرة عيونهم حمراءوأجسامهم خضراء ، تناسلواوأنجبوا ثمانية أسر أصبحوا بعد تكاثرهم قبائلا سكنت منطقة الدوغون .

هذه الأساطير قد تبدو عادية للوهلة الأولى ، لكنها تصبح مثيرة للاهتمام عندما تتحدث عن هؤلاء الثمانية وتقول أنهم قد أتوا من نجم يدعى (سيريوس)وأن هذا النجم يرافقه نجم آخر يدعى (سيريوس ب) حيث من المحير جدا أنهم يعلمون عن هذا النجم الذي لم يكتشف إلا عام ١٨٣٦والذي سمي بالقزم الأبيض عام ١٩١٥ .

علوم الدوغون

في عام ١٩٣١ ، انطلق عالمين فرنسيين مختصين بالانثروبولوجيا (مارسيلوجيرمين) للعيش مع الشعبي الدوغوني الذي كان يسمى حينها بـــ (السودان الفرنسي) من أجل دراسة ثقافتهم ، عاشا معهم مدة ٢٠ سنة . لم يكن مرحبا بهما في البداية لكن بعد سنوات استطاعا كسب احترام سكان تلك المنطقة وقبولهم ،وفي عام ١٩٤٦ وافق حكماء القبيلة هناك على تدريس علومهم الكونية لهما.

أمسك الكهنة عصياورسموا على التراب شكل السماء كما تصورها ثقافتهم ، ثم صعق العالمان عندما بدأ الكهنة برسم جرم كبير يدور حوله نجم أصغر ، والمعروف علميا أن هذا النجم يدور حول النجم سيريوس مرة

كل خمسين سنة ، والعجيب أن الدوغون يحتفلون كل خمسين سنة بمهرجان يسمى (سيجي) أي (تجديد العالم) ، يمثلون هذا النجم بأصغر شيء يمتلكونهوهو الحبوب الصغيرة التي تمثل غذاءهم الرئيسي . في لغتهم (سيريوس ب) يدعى ب (بوتولو) أي أنه صغير الحجم لكنه ثقيل الوزن .

عندما استفسر العالمان عن مصدر هذه المعلومات التي يحملها الكهنة ، أخبروهم بأنها وصلت إليهم عن طريق كائنات فضائية برمائية تشبه حوريات البحر تدعى (النومو) نزلت في أرض الدوغون منذ وقت طويل ، وزعموا بأن هذه الكائنات هي أدلاء الكونوآباء البشرية .

الدوغون يرسمون تقريبا في كل مكان أشكالا تصف وصول تلك الكائنات إلى الأرضوتحدد بدقة مكان هبوط سفينتهم ، حيث تشير على أنها حطت في شمال شرق الدوغون على مقربة من الهضبة الصخرية التي يستقر بها السكان .

و مثل كل الأساطير في العالم تبقى هناك الكثير من رموزها غير الواضحة أو المفهومة ، لكن الشيء الأكيد أن معرفة الدوغون بعلم الفلك تفوق كثيرا علومهم في الملاحظة أو الحساب .

الدوغونوعلم الفلك

بعد فترة من معرفة هذه الأسرار ، اكتشف العالم مارسيل بأن هذه القبيلة تمتلك العديد من العلوم الفلكية الأخرى الحديثة والتي يعرفونها منذ

قرون ، على سبيل المثال يعرفون أن المشتري لديه أربعة أقمار رئيسية ،وأن زحل يمتلك حلقات حوله ،وأن الأرض تدور حول الشمسوأن النجوم أجسام تتحرك باستمرار .

يعرفون أيضا أن القمر هو كوكب ميت ،ويعلمون حول الحركة اللولبية لدرب التبانة الذي ينتمي إليه نظامنا الشمسي .

حقيقة أخرى يعرفونها حول النجم سيريوس ، هو أن لديه نجم ثاني غير النجم (سيريوس ب)ولكن حتى الآن لم يكتشفه علماء الفلك ،وإذا ما تم اكتشافه يوما ما فذلك سيؤكد صحة أساطير قوم الدوغون حول تواصلهم مع الكائنات الفضائية .

السؤال الذي يطرح نفسه بشدة الآن ، هو من أين استمد الدوغون معرفتهم ، أي ما هو مصدرهم الحقيقي بعيدا عن ادعاءاتهم ؟! .

افتراضات حول سر الدوغون

فرضية نزول كائنات فضائية وتبادل المعلومات معهم بالتأكيد لا تبدو مقنعة رغم وصفهم العجيب لتلك السفينة حيث يدعون بأنها أحدثت ضجة كبيرة هزت الحجارة من الأرض وسببت ارتفاع الغبار في السماء .

تلك القصص انتقلت للأسف عن طريق شفوي من جيل إلى جيلوبالتالي احتمال ضياع المعلومة أو تغيرها سيكون كبيرا جدا وشبيها بغيرها من الأساطير المليئة بالرموز غير الواضحة أو المقنعة والتي لا يمكن دراستها أو إعطاءها تفسيرا عقليا منطقيا . لكن رغم ذلك هناك من

أيد فكرة الكائنات الفضائية مثل العالم روبرت تمبل الذي ألف كتابه حول هذا الموضوع بالكثير من الجرأة في الاستنتاجات .

من جهة أخرى هناك من رفضوا ذلك التفسيروأعطوا احتمالا آخر أكثر بساطة ،وهو أن شعب الدوغون قد تم تدريسهم من طرف المدرسة الفرنسية العلمانية عام ١٩٠٧ ، لهذا علومهم مستمدة تماما من الحضارة الفرنسية .

رغم أن هذه الحجة منطقية جدا إلا أنها للأسف قد لا تكون صحيحة لأن أساطير الدوغون وجدت قبل استعمار الفرنسيين لهم ،وعلاوة على ذلك من غير المحتمل أن المعلمين في ذلك الوقت قد أعطوا دروسا للدوغون في علم الفلك ، خصوصا في مسائل دقيقة مثل النجم (سيريوس ب) .

هناك فرضية أخرى أكثر احتمالا ، هي أن الناس في العصور القديمة كانوا أكثر ميلا وحبا لعلوم الفلك والديانات الشرق أوسطية مليئة بمثل تلك المواضيع ، فقبيلة الدوغون لم تكن معزولة عن العالم بل كانت تملك طرقا تجارية تصل حتى إلى مصر لهذا من المحتمل أنها استمدت معرفتها من الأديان القديمة سواء بمصر أو بلاد ما بين النهرين أو حتى اليونان .

من المعروف أيضا أن نجم سيريوس هو الأكثر لمعانا في سمائنا ،وقد تحدث عنه المصريون وربطوه بفيضانات النيل الأولى ،ومن ناحية أخرى الكثير من الأساطير اليونانية تشير إلى المخلوقات البرمائية التي نصفها إنسانونصفها الآخر سمكة .

لكن يُطرح سؤال آخر ، نجم (سيريوس ب) لا يمكن رؤيته بالعين المجردة فكيف عرف سكان الدوغون بوجوده ؟ .

يتكهن البعض أنه في العصور القديمة قد أشرق هذا القزم الأبيض في السماء وتمكن الناس من دراسته رغم أدواتهم البدائية ،وفي الواقع الكثير من الحضارات القديمة كانت على دراية جيدة بعلوم الفلك .

ختاما

يبقى أمر تلك القبيلة محيراولا يوجد كلام نهائي وحاسم حول مصدر أساطيرهم ، لكن إن اكتشف يوما ما نجم السيريوس الثالث فذلك سوف يجعلنا حتما نعيد التفكير في فرضياتنا .